

سؤال الأسننة من منظور مالك بن نبي

مولود قدور بن عطية

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم،

27000 ، الجزائر.

mawloudkh@yahoo.fr

المستخلص

نتعرض في سياق هذا البحث لمفهوم الأسننة من منظور مالك بن نبي، ذلك لأنه يعد من المفاهيم التي تقتضي الضرورة النظر في تكوينها المفاهيمي وطبيعة تشكلها، ليس فحسب لمكانته المحورية إذا تعلق الأمر بحقل العلوم الاجتماعية والإنسانية على حد سواء، لكن فضلا عن ذلك للبحث في كيفية انتقال هذا المفهوم من شكله المجرد نحو شكله المادي الذي يتجسم في الواقع مخلفا نسقا من الآثار الاجتماعية والجمالية التي ترقى بالاجتماع البشري من مرحلة التوحش إلى التأنس، وعليه تجدر الإشارة إلى أن الأسننة كمفهوم مجرد تعد نتاجا تضافريا لنسق من المفاهيم التي صاغها مالك بن نبي والتي نذكر منها مراحل الحضارة وإنسان الحضارة... الخ، وبالتالي تظهر أهمية الاستنباط كمنهج يقضي إلى البحث والتنقيب عن مفهوم الأسننة من عمق المفاهيم التي طرحها مالك بن نبي ضمن عمله الموسوم بمشكلات الحضارة والذي تفرع إلى عدة مؤلفات نذكر منها ميلاد مجتمع، شروط النهضة، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، وجهة العالم الإسلامي... الخ.

الكلمات المفتاحية: الأسننة، الحضارة، مرحلة الروح، مرحلة العقل، مرحلة الغريزة، إنسان الحضارة.

The question of humanization from the perspective of Malik bin Nabi

Mawloud kaddour benatia

Abdelhamid Ben Badis University, Mostaganem

27000 , Algeria.

mawloudkh@yahoo.fr

ABSTRACT

In the context of this research, we will discuss the concept of humanization from the perspective of Malek Bennabi, because it is one of the concepts that must be considered in its conceptual formation and the nature of its formation, not only for its pivotal position in the field of both social sciences and humanities, but also for research into how this concept is transmitted from its abstract form to its material form embodied in reality, leaving behind a system of social and aesthetic order influences that raise human society from the stage of barbarism to the stage of faming. accordingly, it should be noted that humanity as an abstract concept is a synergistic product of a system of concepts formulated by Malik Bennabi. Thus, the importance of deduction as a method that leads to research and exploration for the concept of humanism appears from the depth of the concepts presented by Malik Bennabi in his work marked with the problems of civilization, which branched out into several books, among which we mention the birth of a society, the conditions of the renaissance, the problem of ideas in the Islamic world, the direction of the Islamic world...etc.

Keywords: humanization, civilization, the stage of the soul, the stage of the mind, the stage of instinct, the human being of civilization.

مقدمة

يعد مصطلح الأنسنة مصطلحا مركبا، تشترك في تكوينه بنويا اتجاهات عديدة ينهض كل منها على تصورات خلافية، وعليه فقد تم إنتاج شكلين متعارضين في المعنى الذي يؤديه هذا المصطلح، الأول تمثله الأنسنة المحافظة أو المعتدلة أو ما يطلق عليها بالأنسنة المؤمنة، التي لا تفصل هذا المفهوم عن إطاره الديني المحض، ثم الشكل الثاني الذي يمثله الاتجاه الملحد في العصر الحديث -سارتر- هيدجر- فريدريك نيتشه- ميشيل فوكو- "والتي تعني التمرد على الله من أجل العناية بالإنسان، وهكذا شكلت الانسنة من خلال التنوير الأوروبي واحدا من أعمدة الحداثة الغربية." (هاشم، 2005: ص 77).

إن العبور أو الانتقال الفلسفي أو الاستيمولوجي الذي مر به مفهوم الأنسنة من شكله المحافظ المعتدل نحو الآخر الدنيوي الملحد قد ارتبط عموما بعصر الإصلاح الديني، وعصر النهضة في أوروبا في القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين، حيث بدأ التحول في تلك الفترة من الدين إلى العلم، ومن الله إلى الإنسان." (هاشم، 2005: ص 75). على العكس من التصورات السابقة، على الأقل في شقها الذي يتعلق بالتصور الملحد للأنسنة، فإننا نقصد بفكرة الأنسنة ضمن هذا السياق الذي يتمخض عن توجهات "مالك بن نبي" معنى التهذيب، وهو مصطلح يرتبط بالإنسان دون المخلوقات الأخرى، ويرتبط في الآن ذاته بذروة الحضارة، فمما هو معروف أن الإنسان الأول الذي عاش في مجتمع الصيد والالتقاط كان مخلوقا غير مؤنسن، كما يثبت ذلك الأنتروبولوجيون، ومثال ذلك أنه كان يفضل النيئ على المطبوخ بدافع أنه لا يعرف الطبخ، ويرتدي أوراق الأشجار بحكم أنه لا يتقن عملية النسيج... الخ، وبالتالي فإن "الإنسان منذ فجر البشرية يعد محور الوجود ومعيار الأشياء جميعها. وما الحضارة إلا انعكاس قيم وأخلاقي وسلوكي لروح هذا الجوهر في تمثله للأشياء وفي دأبه لمقارعة الطبيعة وتحويلها كلما سنحت الفرصة إلى أداة بيده لأُنسنته." (عبد الحميد، 2020، ص 02)، وبالتالي فالأنسنة التي يقصدها "بن نبي" تتموضع ضمن الاتجاه المحافظ أو المعتدل.

مهما اختلفت وجهات النظر حول الدلالة اللغوية أو الاصطلاحية للأنسنة، فإنها لا يمكن أن تتجرد من البعد الإنساني، وعليه فلا يمكن أن نتصور أنسنة للمجتمع أو الحضارة بمنأى عن البعد الإنساني، ذلك لأن "قواعد البعد الإنساني تقتضي المحبة المشتركة على قاعدة الاشتراك في مجموعة من الثوابت." (عامر، 2016، ص 362) كما لا يمكن في الآن ذاته تصور أنسنة في غياب المحبة المشتركة. لذلك فإن مصطلح الأنسنة يعني إخضاع الإنسان إلى نسق من القيم التي يتحول بمقتضاها من مجرد كائن بشري جاف لا يختلف عن بقية المخلوقات الأخرى إلى كائن إنساني أولا ثم اجتماعي يحسن العيش ضمن جماعة اجتماعية، ليخضع في الوقت ذاته إلى نسق القيم الاجتماعية السامية كالتعاون والتضامن والتكافل... الخ. إن التصور السوسيولوجي أو الفلسفي الذي نحته مالك بن نبي لمصطلح الأنسنة يقتضي حضور عملية استنباط عميقة، يتم من خلالها التنقيب عن هذا المصطلح دخل أعمال بن نبي الموسومة بمشكلات الحضارة، ولأجل ذلك علينا التطرق إلى البحث عن مفهوم الحضارة في حد ذاتها وأهم المفاهيم المرتبطة بها، لنصل بعد ذلك إلى استنباط معنى الأنسنة من منظور مالك بن نبي.

مفاهيم حول الحضارة

مفهوم الحضارة من وجهة نظر مالك بن نبي

إن مسمى الحضارة إذا تعلق الأمر بمعناه الشائع يشير إلى "المجتمعات التي بلغت درجة عالية من التطور وتتصف بالتقدم العلمي والتقني والتنظيم المدني والتعقيد في التنظيم الاجتماعي حيث يكون لهذا الاصطلاح معنى تطوري." (روشييه، 1983: 136). أما من وجهة نظر مالك بن نبي وقبل أن تكون الحضارة نسقا من المعادلات الدقيقة، فهي في الوهلة الأولى نتاج تضافري لأعماله البحثية التي كانت بمثابة المخبر الذي شَرَحَ عبره وفكك وأعاد بناء أغلب المشكلات التي عاصرها على مستويات خلافية، يشير في هذا الإطار "إن المشكلة التي استقطبت تفكيري واهتمامي أكثر من ربع قرن وحتى الآتي هي مشكلة الحضارة." (سعود، 2006: 120) وهي بعد ذلك مجرد فكرة "إن حضارة ما هي نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ." (بن نبي، 2002: 41)

في خضم تحليلاته يتبنى وحدة للتحليل تمثلت أساسا في الحضارة، إن الرضيارضية الأولى التي أثت من خلالها ملك بن نبي للحضارة في المستوى الأول هي التفاعل الحاصل بين ثلاثي الإنسان والتراب والوقت، "فكل منتج حضاري هو في النهاية حصيلة تفاعل هذا الثالوث، وباستخدام طريقة الجمع المعروفة في علم الحساب فستنتهي المعادلة إلى الشكل التالي: حضارة = إنسان+تراب+وقت." (سعود، 2006: 121)، من هذا المنطلق يظهر أن التكوين البنوي لمسألة الحضارة يعد تكوينا تضافريا بين معطى مادي وآخر معنوي، في هذا السياق يشير مالك بن نبي أن "الحضارة هي جملة من العوامل المادية والمعنوية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره، فالفرد يحقق ذاته بفضل ارادة وقدرة ليستا نابعتين منه وإنما تنبعان من المجتمع الذي هو جزء منه." (حامد، 2012: 159) لم تكتمل معادلة الحضارة وفق الشكل السابق، حيث لا يكتفي صاحب مشكلات الحضارة بالتفاعل الحاصل بين العناصر الثلاثة سألقة الذكر، ذلك لأن الأصل في التفاعل هو حضور عنصر آخر لضمان عملية التفاعل، وبالتالي فإن "المركب الذي يمزج بين الإنسان والتراب والوقت هو الفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ." (سعود، 2006: 121) تظهر إذن في المستوى الثاني الفكرة الدينية باعتبارها المحور الذي يلتف حوله الاجتماع البشري في بداية تشكل مسألة الحضارة.

والفكرة الدينية في الأساس الأول هي شكل معين من الدين الذي يرتبط بحضارة من الحضارات، لكننا لا نقصد في هذا الإطار الدين المرتبط بالنزعة الفردية، المقصود هو الدين الاجتماعي، "فالدين الاجتماعي منحصر في أنه يقوم بتركيب يهدف إلى تشكيل قيم، تمر من الحالة الطبيعية إلى وضع نفسي زمني، ينطبق على مرحلة معينة لحضارة، وهذا التشكيل يجعل من الإنسان العضوي وحدة اجتماعية، ويجعل من الوقت وقتا اجتماعيا مقدرًا بساعات عمل، ومن التراب الذي يقدم بصورة فردية مطلقة غذاء الإنسان في صورة استهلاك بسيط، مجالا مجهزةا مكيفا تكييفًا فنيا، يسد حاجات الحياة الاجتماعية، تبعًا لظروف عملية الإنتاج." (بن نبي، 2002: 32)

فالدين وفق هذا التصور يحول العناصر الثلاث سאלفة الذكر من حالتها العضوية الجامدة والفردية إلى الحالة الاجتماعية بناءً على عملية تفاعل منظمة.

في المستوى الثالث، يؤكد بن نبي أن أي نتاج للحضارة لا يكتمل في حضور العناصر السابقة منفردة، حيث لا تكتمل عملية التفاعل الكلي للحضارة إلا بتوفر عناصر ثلاثة أخرى يطلق عليها تسمية العوالم الثلاث، فهو "يقرر أن الفعل التاريخي الذي يتجسم في النهاية في صورة حضارة لا يتأتى إلا عبر تأثير عوالم اجتماعية ثلاث: تأثير عالم الأشخاص الذي يحدد غاية أي عمل، تأثير عالم الأفكار الذي يقدم النماذج الإيديولوجية لهذا العمل، تأثير عالم الأشياء الذي يتيح الوسائل لتنفيذ هذا العمل." (سعود، 2006: 121) إن العوالم سألفة الذكر تتوافق بالضرورة بنبويًا مع كل مرحلة أو طور من أطوار الحضارة، لتمنع بذلك حدوث أي تناقضات لأي مشروع حضاري. في المستوى الرابع الذي تكتمل فيه عناصر الفعل الحضاري، يضيف مالك بن نبي شرطًا آخر لتحقيق مطلب التفاعل بين العوالم الثلاث سألفة الذكر، ذلك أنها لا تشتغل في حالة التشتت والانفراد، وبالتالي "فإنها تتوافق في عمل مشترك عبر الصلات الضرورية التي تتكون بينها لترتبط أجزائها وهو ما يتيح عالم رابع هو شبكة العلاقات الاجتماعية التي تعطي للجهد الإنساني فعاليته النموذجية القصوى، وتتيح للمجتمع أن يؤدي وظيفته المشتركة في التاريخ." (سعود، 2006: 121)، تأسيسًا على المعطيات سألفة الذكر، يظهر أن للحضارة وظيفة بارزة تتمثل العوالم المادية والمعنوية المفضية إلى تنمية الفرد، حيث يشير بن نبي "أن إرادة المجتمع وقدرته تضفيان صفة الموضوعية على وظيفة الحضارة التي هي جملة العوامل المعنوية والمادية اللازمة لتنمية الفرد وهي نعسها تتموضع في شكل سياسة وفي صورة تشريع يمثلان اسقاطًا مباشرًا لعالم الأفكار على الصعيد الاجتماعي والأخلاقي." (بن نبي، 2005: 42-44)

مراحل الحضارة

وضع مالك بن نبي للحضارة أطوارًا ومراحل محددة بزمان للبداية والذروة والانتها، فيما أسماه بدورة الحضارة، هذه الأخير تعد مرحلة لا يمكن الاستغناء عنها ضمن هذا البحث، ذلك لكونها تنتج ثلاثة مراحل غير متشابهة بنبويًا وفي الأخير تنتج ثلاث مجتمعات خلافية على الأقل من حيث إنسان كل مرحلة. نظرًا لأهمية الفكرة الدينية في التشكل البنوي للحضارة كنتاج تاريخي واجتماعي، فإنها تعد مستهلا وبداية لكل دورة حضارية، تشير في هذا الإطار أن من جملة "الملاحظات التي سجلها بن نبي أن للتاريخ دورة وتسلسلًا، تبدأ حلقة الأولى بظهور فكرة دينية، وينتهي عندما تفقد هذه الأخيرة فاعليتها التي أكسبتها الفرد الذي تفاعل معها عند دخولها حلبة التاريخ." (سعود، 2006: 122)

في مستهل حديثه عن الحضارة ومكوناتها، وشروط نشأتها وذروتها أو نهايتها، يثير مالك بن نبي النقاش حول عمر الحضارة وأمداء، فتأسيسًا على ذلك نجده قد أنتج ما اصطلح عليه بدورة الحضارة، حيث يقول "والواقع أن لنا هنا جانبين جوهريين: الجانب الميتافيزيقي أو الكوني، وهو جانب ذو هدف عام وذو غاية، والجانب التاريخي الاجتماعي، وهو جانب مرتبط بسلسلة من الأسباب. والحضارة من هذا الجانب الأخير تتمثل أماننا كأنها مجموعة عديدة تتتابع في وحدات متشابهة، ولكنها غير متماثلة، وهكذا تتجلى لإفهامنا حقيقة جوهريّة في التاريخ هي: دورة الحضارة، وكل دورة محددة بشروط نفسية زمنية خاصة بمجتمع معين، حضارة بهذه

الشروط. ثم إنها تهاجر وتنتقل بقيمتها إلى بقعة أخرى،... لتعد كل استحالة تركيبا خاصا للإنسان والتراب والوقت." (بن نبي، 2002: 27) وفق هذا المنظور المفصل يثبت بن نبي أن الحضارة إنتاج تاريخي- اجتماعي غير صدي، فهي تكوين تضافري لنسق من الشروط الخلفية.

يبدأ تشكل دورة الحضارة في الوهلة الأولى بمرحلة الروح، التي تتزامن أنطولوجيا مع ظهور الفكرة الدينية، ثم تليها مرحلة العقل التي تناظر زمنيا ذروة الحضارة، وانتهاء بمرحلة الغريزة كزمن للأفول. فضلا على ذلك فإن هذه المراحل الثلاث تحمل في هذه الدورة دلالة عن الأطوار الثلاثة المتتالية التي يمر بها المجتمع متمثلة في "الحالة الكاملة، حيث تكون جميع الخصائص والملكات تحت سيطرة الروح، ومتصلة بالاعتبارات ذات الطابع الميتافيزيقي. والمرحلة التالية هي المرحلة التي تكون فيها جميع الخصائص والملكات تحت سيطرة العقل بخاصة، ومتجهة نحو المشكلات المادية. أما المرحلة الثالثة فتصور نهاية تحللها تحت سلطان الغرائز المتحررة من وصاية الروح والعقل، وفيها يصبح العمل المشترك مستحيلا، ضاربا بأطنابه في أغوار الفوضى والاضطراب." (بن نبي، 2002: 37)

مرحلة الروح

هي الفاصل التاريخي بين طور ما قبل الحضارة وطور الحضارة، التي لا يزيد في إطارها الإنسان عن كونه فردا مرتبطا بنوعه البشري، خاليا من طباع الحضارة متشعبا بالبداوة وخشونتها، إلى غاية أن تلامس مرحلة الروح الفكرة الدينية فتتفاعل معها، إن هذه المرحلة "تبتدئ بدخول فكرة دينية تطبع الفرد بطابعها الخاص وتوجهه نحو غايات سامية والفرد في نقطة الصفر من ثورة الحضارة." (سعود، 2006: 123)

إن بداية تحول الإنسان من كونه مرتبطا بعبادات وطبائع البداوة المتضمنة في مرحلة ما قبل الحضارة وثيق الصلة بالتفاعل الحاصل بين مرحلة الروح والفكرة الدينية، إن إنسان هذه المرحلة "ما هو إلا الإنسان الطبيعي في حالته الفطرية مع جميع الغرائز التي وهبها هو مادتها الخام التي ستنتقل في الإنشاء الحضاري بعدما تتولى الفكرة الدينية تهذيب غرائزه الحيوانية وتنظيمها لتتوافق مع مقتضيات الرسالة المحضرة وهنا يجد الفرد نفسه متخليا عن عدد من الانعكاسات التي توافق رغباته بوصفه كائنا لم يزل على صلة بمرحلة ما قبل الحضارة،... أي أنه يتحول من فرد مرتبط بالنوع طبقا لنزعاته البدائية إلى شخص يرتبط بالمجتمع." (سعود، 2006: 123)

يشكل الانتقال أو التحول من الفرد نحو الشخص الإرهاصات الأولى المؤذنة بميلاد مشروع حضاري جديد. من حيث نسق الممارسات والسلوكيات والطبائع المرتبطة عضويا بالإنسان الطبيعي أو ما يصطلح عليه بإنسان الفطرة، فإنها تنشئ عن املاءات الغريزة، غير أن "الفكرة الدينية سوف تتولى إخضاع غرائزه إلى عملية شرطية تمثل ما يصطلح عليه علم النفس الفرويدي بالكبت." (بن نبي، 1986: 67) وبالتالي ستخضع إلى نوع من الضبط والتنظيم.

خلال هذه المرحلة، مرحلة الروح، تظهر العوالم الثلاث، عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء في أشكال خلافية تتوافق مع طبيعة هذه المرحلة وبعدها الوظيفي في الآن ذاته، لذلك ففي سياقها "لا يزال عالم الأفكار جينينا، أما عالم الأشخاص فإنه يتبدل بصورة أساسية وتكون شبكة العلاقات الاجتماعية في أكتف حالاتها، بينما لا يزال عالم الأشياء بسيطا لكنه يطوع لأداء مهمات المجتمع الجسيمة." (سعود، 2006: 123)

من حيث السياق الزمني لمرحلة الروح، يشير مالك بن نبي أنها توافقت "في إطار الدورة الإسلامية بنزول الوحي في حراء حتى واقعة صفين عام 38 هـ ويصفها بأنها مرحلة دينية محضة تسودها الروح." (سعود، 2006: 123).

مرحلة العقل

ينسحب عليها وصف الذروة حضارياً، فهي قمة النمو والعتاء، فهي تشكل على مستوى دورة الحضارة "نقطة الأوج التي يسجل فيها المجتمع توسعه ونموه وتطوره الفكري والعلمي والحضاري، حيث تزدهر العلوم والفنون والصناعات وتكتمل فيها شبكة وروابطه الداخلية فتنشأ نتيجة توسعه المشاكل المحسوسة وتولد في نطاق ذلك ضرورات جديدة، وحتى تستطيع الحضارة تلبية هذه المستجدات تسلك منعطفاً هو منعطف العقل." (سعود، 2006: 124) إذا قمنا بوضع قراءة تقاطعية بين مرحلة العقل ومرحلة الروح، سنكتشف بداية موت هذه المرحلة الأخيرة، في خضم مرحلة العقل نسجل "أن الروح قد بدأت تفقد سلطانها على الغرائز المكبوتة والتي كيفتها الفكرة الدينية، حيث يتألف جانب منها لأنه لم يعد تحت رقابة نظام أفعال الفرد المنعكسة، ولم يعد يتصرف في كل طاقته الحيوية وهو مباشر وظيفته الاجتماعية، وهكذا تمضي هذه الثغرات في التوسع لأن المجتمع لم يعد يمارس ضغطه كما كان في مرحلة الروح، إلى أن تستعيد الغريزة سيطرتها من جديد." (سعود، 2006: 124) حريٌّ بنا في هذا الإطار فتح مجال المقارنة للفصل في الدلالة الاصطلاحية لمصطلح الروح كما للعقل، علينا أن نتساءل هل بإمكان الروح أن تستمر عبر المجال الزمني لمرحلة العقل؟ وهل كانت مرحلة الروح خالية من ممارسات العقل؟ تجدر الإشارة في هذا الظرف الفلسفي المليء بالتساؤلات أنه "لا سبيل هنا إلا أن نفهم مدلول العقل باعتباره مرادفاً للحسابات الشخصية والمصلحية وبروز الأنانية وتفتت شبكة العلاقات الاجتماعية لصالح النزعات الانتهازية، أما العقل كجهاز وكوظيفة فإنه لم يكن غائباً في المرحلة الأولى، وأما ظهور نتائجه في المرحلة الثانية فإن ذلك كان ثمرة تطور اجتماعي وتاريخي كانت بدايته أقرأ." (سعود، 2006: 125)

يشهد المجتمع في مرحلة العقل إذا تعلق الأمر بالعوامل الثلاث، تفاوتاً من حيث مستوى النمو، "لو نظرنا إلى المجتمع في هذه المرحلة لوجدنا عالم أفكاره قد نما واتسع بشكل لافت للإنتباه، وأن عالم أشيائه قد تضخم هو الآخر، أما شبكة العلاقات الاجتماعية فإنها تكون في أكثر حالاتها سعة وامتداد ولكن قد بدأت تبرز عليها بعض الشوائب." (سعود، 2006: 125)

مرحلة الغريزة

هي بمثابة كبوة الحضارة في نظر بن نبي، ينهار في إطارها مستوى القيم السامية والعلوية، حيث يتصدع البناء الأخلاقي للإنسان، فسقط الروح وتراجع عن أداء دورها الوظيفي، إنها زمنية تمثل فناء أو موت الحضارة، "فأوضاع القيم تنقلب في عصور الانحطاط لتبدو الأمور ذات خطر كبير، فإذا ما حدث هذا الانقلاب نهار البناء الاجتماعي، إذ هو لا يقوى على البقاء بمقومات الفن والعلم والعقل فحسب، لأن الروح، والروح وحده، هو الذي يتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدم، فحيث ما فقدت الروح سقطت الحضارة وانحطت." (بن نبي، 2002: 31).

إنها تمثل تاريخيا مرحلة الصفر حضاريا، لعدة اعتبارات، منها تلاشي مستوى أداء الروح والعقل، خلال هذه المرحلة "تنكش تأثيرات الروح، وتنطلق الغرائز المكبوتة من عقالها لكي تعود بالإنسان إلى مستوى الحياة البدائية، ويختل نظام الطاقة الحيوية ويفقد قيمته الاجتماعية فيدلف المجتمع بعد قوة وارتفاع إلى مرحلة من التخلف والانحطاط، تخمد فيها كل معاني التقدم والرقى." (بن نبي، 2002: 125).

ترتبط مرحلة الغريزة ارتباطا وثيقا بطبيعة الفكرة الدينية، إن هذه الأخيرة تشهد أوج نشاطها وفعاليتها مع بداية الحضارة، وعندما تتلاشى تكون مؤذنة بزوال الحضارة، ذلك أن "الفكرة الدينية التي هذبت الطاقة الحيوية للإنسان وحددت أمامه طريق الحضارة، لم يعد لها سلطانا على الأنفس كما كان، إذ تقلت من رقابتها شيئا فشيئا بعد الصدمات التاريخية التي فصمت الوحدة الروحية للفرد والمجتمع، وترسبت عبر الزمن في صورة انقسام مطرد زمنيا بين المبدأ وبين سنده المحسوس -الفرد-." (سعود، 2006: 126)

ضمن مرحلة الغريزة، حريٌّ بنا أن ندرك بأن المجتمع تحول من حالة التفكير والنعاء والنشاط إلى حالة الخمول والدعة والسكون، ومن التماسك إلى التفكك، ومن الاتساق نحو الاختلاف، لذلك فالمجتمع يبلغ الحد النهائي في تطوره "عندما يفقد بالتدريج خاصة الإنسجام، فيتفرق أفراد ذرات، ويصبح في نهاية تحلله عاجزا تماما عن أداء نشاطه المشترك، أي أنه يتوقف عن أن يكون مجتمعا بالمعنى الدقيق الذي نقصد إليه من هذه الكلمة في عرضنا." (بن نبي، 2002: 35)

إضافة إلى التصورات سالفة الذكر، والمرتبطة بمرحلة الغريزة، تجدر الإشارة أنه على مدار هذه المرحلة يتراجع أداء الفكرة، حيث وفي هذا السياق "تفقد الفكرة فعاليتها وبيتعد المجتمع بذلك عن نمونجه الأصيل الذي رسخته الفكرة الدينية، ويفسح المجال لسلطان الغرائز، وعندما تصل الحضارة إلى وعدها المحتوم، إذ تكون على أهبة أن تتم دورتها لتهاجر إلى بقعة أخرى حيث تتوفر شروطها، وهكذا تتوقف حركة المجتمع الحضارية، ويغدو الإنسان والتراب والوقت عناصر خامدة ليس لها فيما بينها صلة مبدعة، أما العوالم الثلاث، فرغم أن المجتمع متخم بها إلا أنها لا تكون فيما بينها صلة تنتج حضارة، لأن شبكة علاقاته قد تفسخت نهائيا." (سعود، 2006: 126) إن التحول أو الانتقال من مرحلة نحو أخرى، من البداية مرورا بالوسط ووصولاً إلى النهاية، هو في الأصل انتقال من الحالة المثالية التي يرسخها حضور العقل إلى الحالة النهائية الساذجة، فالواقع الذي نشير إليه "أن هذا الانتقال من الحالة المثالية إلى الحالة النهائية يحدث في هيئة انفصال داخلي، تنشأ عن ألوان من التمزق في الجسد الاجتماعي، أو صدوع وثرغات في انسجامه وتوافقه." (بن نبي، 2002: 35)

أطوار الحضارة... أي إنسان لأية حضارة؟

في خضم حديثه عن الحضارة ودورها، وتفصيله للتكوين البيوي لكل مرحلة من هذه الدورة، فإن مالك بن نبي وضع فضلا عن ذلك أطوارا لمجتمع الحضارة، حيث يضع على محور واحد ثلاث مجتمعات متفاوتة أنطولوجيا وكذلك من حيث الإنسان الذي يقع على مستواها، تبدأ من طور ما قبل الحضارة، ثم طور الحضارة وانتهاء بطور ما بعد الحضارة.

إنسان ومجتمع ما قبل الحضارة

ضمن هذه المرحلة يكون المجتمع في حالته البدائية، أو نقول الحالة الطبيعية، مكتفيا بالبساطة والثبات والسكون الذي نلتمسه سواء على عوالمه الثلاث أو على مستوى رأسماله الاجتماعي المتمثل في الإنسان والتراب والوقت. "فلو نظرنا إلى هذا المجتمع عبر العوالم الثلاثة الآتية: عالم الأشخاص والأفكار والأشياء، فإننا نلاحظ أن عالم أشيائه شديد الفقر وبدائي، يتمحور حول أشياء بسيطة، كما هو حال المجتمع الجاهلي في شبه الجزيرة العربية كالسيف والرمح والودد والحصان. أما عالم الأشخاص فهو منحصر في حجم القبيلة، فيما عالم أفكاره لم يزل بسيطا متواضعا تمثله تلك القصائد المعلقة." (سعود، 2006: 128) يُمثل مجتمع ما قبل الحضارة بيولوجيا بمرحلة الطفولة، هذه الأخيرة التي لا تكاد تشهد عالما للأفكار، "فهو المجتمع الذي لم يزل رأسماله الاجتماعي الإنسان والتراب والزمن راكدا خامدا ومكدسا لا يؤدي دورا في التاريخ. أما إنسان هذه المرحلة فهو ذلك الفرد الذي يكون على حالته الطبيعية وغرائزه لم تتكيف بعد،... فالفرد في هذه الحالة ليس أساسه إلا الإنسان الفطري أو الطبيعي، المنطوي على طاقة مذخورة قابلة لأن تؤدي عملا نافعا." (سعود، 2006: 128)

إنسان ومجتمع الحضارة

إن الفاصل الزمني بين هذه المرحلة وسابقتها يتمثل في الفكرة الدينية، هذه الأخيرة تعمل على هدم المكونات البنوية لمرحلة ما قبل الحضارة وإعادة بنائها وفق الشروط الوظيفية لمرحلة ومجتمع الحضارة، "في هذه المرحلة يدخل ظرف استثنائي (الفكرة الدينية) يمد المجتمع بقوة دافعة للإقلاع الحضاري، فيشرع بهدم ما بداخله من حدود قبلية ليؤسس عالمة الجديد من الأشخاص، ويخط طريقه في بناء شبكة العلاقات الاجتماعية التي تتيح له أداء دوره ووظيفته التاريخية." (سعود، 2006: 129) توحى الفكرة الدينية بوصفها فاصلا زمنيا بين هذه المرحلة ومرحلة ما قبل الحضارة بدخول المجتمع طور الروح الذي تهزم فيه الغريزة، ففي إطار هذه المرحلة "تنشأ إرادة المجتمع وتكون في أعلى درجاتها (خاصة في المرحلة الروحية) عبر عمليات إخضاع الغرائز التي تتولاها الفكرة الدينية. فإذا كان الطور الأول من هذه المرحلة طورا صاعدا، يسجل فيه المجتمع أعلى درجات التوتر، بما تمنحه الفكرة الدينية من مسوغات، فإن الانتقال إلى الطور الثاني العقل، طور امتلاك المشاكل التقنية والتوسع، يتجه نحو نزاع القداسة عن المبادئ وتتناقض فيه تدريجيا قدرة الفرد على التكيف عندما يحصل التوازن بين الأفكار والأشياء أخيرا لتقود المجتمع إلى مرحلة الغريزة وتخرجه من نطاق الحضارة." (سعود، 2006: 129) وفق هذا المنظور تصبح البنية التحتية لأية حضارة أو مشروع حضاري دينية في الأساس الأول، ذلك لأنه كما يشير مالك بني إلى ذلك "الحضارة لا تنبعث -كما هو ملاحظ- إلا بالعقيدة الدينية، وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها، ولعله ليس من الغلو في شيء أن نجد التاريخ في البوذية بذور الحضارة البوذية، وفي البرهمية نواة الحضارة البرهمية." (بن نبي، 1986: 50)

إنسان ومجتمع ما بعد الحضارة

ينظر هذا الطور زمنيا مرحلة الغريزة، خلال هذا الطور يفقد الإنسان هامشا معتبرا من الطاقة التي كانت تسمو به إلى مستوى الحضارة، حيث يصبح "المجتمع عاجزا عن أي نشاط مشترك لأن علاقاته الاجتماعية قد تمزقت نتيجة تقلت الطاقة الحيوية للفرد من سلطة الفكرة، ولم تعد تتيح له ذلك، فتخفت فاعلية الأفكار، وتتمحور في النهاية حول قضايا ومناقشات خيالية بعيدة عن المشكلات الواقعية التي يعيشها المجتمع،... وهنا لا يستطيع

المجتمع أن يتابع مسيرته الحضارية بعقول خاوية أو محشوة بأفكار ميتة، وضمان حائرة وشبكة علاقات متهدمة، فيدخل المجتمع في طور الركود والتخلف الحضاري." (سعود، 2006: 130) من المسائل التي تطرح بشكل ملفت، الاعتقاد السائد لدى الكثيرين أن مرحلة ما بعد الحضارة تستمر في نفس محور ومسار مرحلة الحضارة، لكن الأصح هو أنها لا تستمر في نفس ذلك المحور أو المسار، إنها تشهد سقوطا تدهورا سواء على مستوى عالم أشخاصها أو أفكارها وحتى عالم أحيائها، في هذا الإطار يشير مالك بن نبي "والمؤرخون يميزون جيدا في العادة بين الوضع الأول والثاني، ولكنهم لم يهتموا بالتمييز بين هذين الوضعين والوضع الثالث، فهم يرون أن مجتمع ما بعد الحضارة هو بكل بساطة مجتمع يواصل سيره على طريق حضارته، وهذا الخلط المؤسف يولد أنواعا أخرى من الخلط والالتباس،... ولكي نزيل اللبس نقول أن مجتمع ما بعد الحضارة ليس مجتمعاً يقف مكانه، بل يتقهقر إلى الوراء بعد أن هجر درب حضارته وقطع صلته بها." (سعود، 2006: 131) إذن، وفق التصورات السابقة يصبح طور ما بعد الحضارة تحصيل حاصل لضعف وتلاشي دور الروح والعقل، ذلك لأن كل طور يعد نتاجا للبنية التي تحركه، فالطور الأول تحركه الروح والثاني يسمو به العقل، لكن "في الحالة التي تنكشف فيها تأثيرات الروح والعقل، تنطلق الغرائز الدنيا من عقالها، لكي تعود بالإنسان إلى مستوى الحياة البدائية." (بن نبي، 1986: 53) إن تراجع دور الروح والعقل يمثل الإرهاصات والبوادر المؤذنة بميلاد طور ما بعد الحضارة.

نظيف أن المجتمع في طور ما قبل الحضارة وبداية تشكل الملامح الأولى لطور الحضارة بظهور الفكرة الدينية وانتهاء بطور ما بعد الحضارة، يعد مجتمعاً متمأسساً على ثلاث مراحل خلافية في مضمونها وطبيعتها وبعدها الوظيفي، لذلك فإن شرط التمايز بين المراحل الثلاثة سألفة الذكر يعد شرطاً وظيفياً في عملية الانتقال الحضاري، ونظيف إثراء لهذه المسألة أنه "بإمكاننا أن نعتبر كل مرحلة من مراحل النمو الاجتماعي متميزة بغلبة عنصر ثقافي محدد، وبديهي أن تكون ثقافة أي مجتمع ناشئة ثقافة أخلاقية، وعلى عكس ذلك حالة المجتمع لحظة أفوله، إذ نجده يغرق في نزعة جمالية تبتعد قليلاً عن أصول الجمال الحق." (بن نبي، 2002: 38) إذ كان التفاوت يحصل في التكوين البنيوي لكل طور من أطوار دورة الحضارة فيجعلها متميزة، فالإنسان جزء من هذا التكوين البنيوي الذي نقصده، وبالتالي فإن التفاوت الحاصل يشمل نوع الإنسان في حد ذاته، لذلك فقد "سعى بن نبي إلى التفريق بين الإنسان السابق على الحضارة، والإنسان الخارج منها، فالأول يظل مستعداً للدخول في دورة الحضارة، بينما الثاني لم يعد قابلاً لإنجاز عمل متحضر إلا إذا تغير هو نفسه عن جذوره الأساسية." (سعود، 2006: 131)

الأنسنة في تصور مالك بن نبي

مما لا شك فيه أن مالك بن نبي في أغلب أعماله وطروحاته لم يؤسس لمفهوم أو تصور صريح يحمل تسمية "الأنسنة"، لكن بإمكان أعماله أن تشكل تضامراً دلالة واضحة شكلاً ومضموناً لهذا المفهوم. وبالتالي فإن البحث في ماهية الأنسنة يقتضي بالضرورة البحث في مفهوم الحضارة وأغلب المفاهيم المرتبطة بها من منظور بن نبي، وهو ما انتهينا منه ضمن العنصر أعلاه، ذلك لأنه من جملة التناقضات أن تؤسس حضارة في غياب الإنسان أو المجتمع المؤنس.

نماذج الإنسان من منظور بن نبي

في معرض حديثه عن مشكلات الحضارة يلتفت نحو أهم حلقة في دورة الحضارة متمثلة في الإنسان، فهو لا يدخر أدنى جهد ليفصل في التركيبة الاجتماعية لهذا الأخير، لينتج بذلك نوعين من الإنسان، أولاً الإنسان-الفرد وثانياً الإنسان-الشخص، وهو ما سوف نتحدث عنه من خلال النماذج التي تضمنتها كل مرحلة من مراحل الحضارة وأطوارها حول نوع الإنسان، وبشكل عام علينا في هذا السياق أن نتساءل:

كيف نصل إلى استنباط مفهوم للأنسنة بناءً على الطرح الذي صاغه مالك بن نبي حول الحضارة؟
ما هي الشروط الوظيفية التي أنتجت كل من إنسان مرحلة الروح وإنسان مرحلة العقل ثم إنسان مرحلة الغريزة؟ وعن أي إنسان نتحدث في سياق أطوار الحضارة من منظور بن نبي؟

نموذج إنسان مرحلة الروح

تأسيساً على مخرجات مراحل البحث السابقة، والمتعلقة بمفاهيم الحضارة ومراحلها، وإنسان كل مرحلة، فإنه تبين أن إنسان مرحلة الروح في الوهلة الأولى هو إنسان الفطرة الطبيعي، المكتنظ بالطبائع البدائية، الذي تنشئ أغلب تصرفاته وسلوكياته عن سيطرت الغريزة واملأاتها، لذلك فإن أبلغ توصيف لإنسان مرحلة الروح كونه فحسب فرداً مرتبطاً بالنوع في انتظار عملية تحول معينة. يشهد إنسان مرحلة الروح عملية تحول سوسيو-تاريخية، وذلك في الطرف الذي تظهر فيه فكرة دينية، فما إن تلامس هذه الأخيرة الفرد حتى تظهر الإرهاصات الأولى لعملية التحول سائلة الذكر متمثلة في تهذيب طباعه والانتقال به من مجرد فرد مرتبط بالنوع إلى شخص على علاقة بنزعات اجتماعية، لذلك يرتبط هذا التحول بالعوامل الثلاث مضافاً عليها هي الأخرى تحولاً، وبالتالي تنتج شبكة علاقات اجتماعية أكثر فاعلية ونشاط، في مقابل أفكار جنينية تشبه أفكار مرحلة الطفولة وانتهاء بعالم بسيط للأشياء. تمثل الفكرة الدينية معلماً تاريخياً لا يفصل فحسب بين مرحلة الفرد والشخص، لكنه يفصل فضلاً عن ذلك بين طور ما قبل الحضارة وطور الحضارة، ليكون القاسم المشترك متمثلاً في الإنسان الاجتماعي الذي هذبت طباعه البدائية، إنه الإنسان الإيجابي.

نموذج إنسان مرحلة العقل

من خلال التصورات سائلة الذكر المتعلقة بمرحلة العقل، نستخلص أن إنسان هذه المرحلة يتميز بقيمة العطاء ونموه الفكري والعلمي، مع ظهور بوادر المصلحة الشخصية والأنانية نظراً لبدائية تلاشي دور الروح، على مستوى هذه المرحلة تتميز العوالم الثلاث بتكوين خلافي مقارنة بالمرحلة السابقة، حيث تتسحب على عالم الأشخاص شبكة علاقات اجتماعية أكثر سعة وامتداداً مع ظهور بغض الشوائب، أما عالم الأفكار فيتميز بالنمو والاتساع، ليعكس إيجابية إنسان هذه المرحلة، وانتهاءً بعالم الأشياء المتضخم نتيجة للارتباط الوثيق بالمادة وتبعاتها. إن طور الحضارة يشهد نفس الإنسان الذي عمر مرحلة العقل، ذلك لأن ظهور الفكرة الدينية دمر إنسان طور ما قبل الحضارة وهدم طباعه الحيوانية والبدائية المرتبطة بالغريزة، هو إنسان إيجابي لكن يشهد نوعاً من التراجع في مستوى إيجابيته.

نموذج إنسان مرحلة الغريزة

على مستوى هذه المرحلة يتهدم البناء الأخلاقي للإنسان وتسقط القيم العليا التي كانت فيما سبق تسمو به، نتيجة لتراجع وانكماش الدور الوظيفي-الحضاري للفكرة الدينية وبالتالي تراجع دور الروح والعقل، فتعاود الغريزة إحياء نشاطها من جديد وانطلاق عمل الغرائز من جديد، يفقد الإنسان قيمته الاجتماعية، ويشهد المجتمع عموماً حالة من التخلخلة والتدهور على مستويات خلافية. يتحول الإنسان من العطاء والنشاط إلى الخمول والدعة والسكون، ومن التماسك إلى التفتت، فيتمزق الجسد الاجتماعي ويفقد تبعاً لذلك الانسجام والتوافق. أما العوالم الثلاث فهي من حيث الأشخاص تتميز بشبكة علاقات اجتماعية مفككة ومهدمة، أما الأفكار فتخفت في هذه المرحلة وهي أفكار مينة وهدامة، وانتهاء بعالم بسيط ومتواضع للأشياء. إن إنسان هذه المرحلة يغرق في نزعة جمالية تبعد نوعاً ما عن أصول الجمال الحق. ونظيف أن إنسان مرحلة الغريزة هو القاسم المشترك بينها وبين طور ما بعد الحضارة، يعد إنساناً غير قادر على إنتاج عمل متحضر إلا إذا تغير عن جذوره الأساسية، وهو في الأخير نموذج بحث وخالص للإنسان السيئ بكل المقاييس.

تأسيساً على التحليلات السابقة، التي تمخضت عنها ثلاث نماذج للإنسان من منظور مالك بن نبي، نصل إلى طرح التساؤل المحوري التالي: بناءً على النماذج المطروحة للإنسان ما هو النموذج الذي يمثل الأنسنة؟ يتمخض مشروع الحضارة في شكله النهائي بناءً على تصورات بن نبي عن مرحلتين رئيسيتين، هما النشأة أو الميلاد، ثم الذروة، أما المرحلة الثالثة فيهدم فيها كل مشروع حضاري كان قائماً من قبل لذلك فهي مرحلة الزوال وبالتالي فهي مقصاة من أي مشروع حضاري، وبالتالي فإن الأنسنة كمفهوم أو تصور هي في الوهلة الأولى عملية مركبة سوسيو-تاريخية، كونها ترتبط بسياق اجتماعي وتاريخي دقيق ومحدد.

فالأنسنة تاريخياً، ترتبط بحادثة أو الواقعة تاريخية بارزة تخلف آثاراً بنيوية على المجال الزمني للإنسان، فتحدث بفعل ذلك قطيعة بين مجالين تاريخيين ونوعين من الإنسان. فالمجال الأول هو الذي يسبق مرحلة الروح أو نقول طور ما قبل الحضارة بتعبير مالك بن نبي، والمجال الثاني هو مرحلة الروح أو بداية طور الحضارة، ومن حيث الإنسان، يتمثل النوع الأول في الفرد، أما الثاني فهو الشخص وكلاهما مرتبط بطباع وثيقة الصلة بخصوصية كل مرحلة أو طور. إن الحدث أو الواقعة التي نقصدها في هذا الإطار هي الفكرة الدينية. أما الأنسنة اجتماعياً، فتتمثل في عملية الانتقال أو التحول الاجتماعي للإنسان، حيث يتحول من كونه فرداً مرتبطاً بالنوع، إلى شخص وثيق الصلة بنزعات اجتماعية، فيكون نتاج ذلك ومحصلته القطيعة بين السلوكيات والطبائع البدائية بوصفها نتاجاً خالصاً للغريزة، وبين النزعات الاجتماعية بوصفها محصلة لعمل ودور الروح في المستوى الأول ثم العقل.

خاتمة

يتضح بناءً على ما سبق أن الأنسنة عملية سوسيو-تاريخية، تفضي إلى تحول بنيوي للإنسان من كونه فرداً إلى شخص، فينتقل من علاقته بالطبائع البدائية المرتبطة بالغريزة والسلوكيات السلبية الهدامة نحو الارتباط بالنزعات الاجتماعية المحملة بالمعاني السامية البناءة، حيث تمر الأنسنة في تشكيلها بتدرج معين يشمل مستويين، الأول أقل نضجاً، يتسم بشبكة علاقات اجتماعية كثيفة، وأفكار جنينية-طفولية تعكس النشأة الأولى، وانتهاءً بأشياء أكثر بساطة، وهو ذو صبغة روحية-دينية بإمتياز، أما المستوى الثاني فهو أكثر نضجاً، تظهر فيه قمة

العطاء والنمو، يتميز بشبكة علاقات اجتماعية أكثر اتساعا ورحابة، وأفكار متشعبة بالحضور العقلي المكثف والخالص، مروراً بتضخم الأشياء نظراً لارتباط الإنسان بها ارتباطاً وثيقاً، لذلك يعد المستوى الثاني عقلي محض متشعب بالقيم البناءة التي تسمو بالإنسان والمجتمع، إلى غاية أن تتلاشى فيه شيئاً فشيئاً الروح، فيتشكل بعدها اندثار من نقطة الذروة وصولاً إلى بداية الزوال المتصلة بالمرحلة الأخير لدورة الحضارة أو طور ما بعد الحضارة.

لا ترتبط عملية الاستنباط التي نتبناها في هذا السياق بمسألة الأنسنة فحسب، لكنها تتعدى ذلك لتصل استنباط نوع الإنسان الذي تنتجه الأنسنة في حد ذاتها بوصفه محور الاجتماع البشري، وبالتالي سنتمكن من الإجابة عن التساؤل السابق: بناءً على النماذج المطروحة للإنسان ما هو النموذج الذي يمثل الأنسنة؟ تأسيساً على التصورات سالفة الذكر، فإن نوع الإنسان الذي تنتجه الأنسنة بشكل عام، يتمثل في الشخص المرتبط بالذات الاجتماعية المحملة بالمعاني السامية البناءة، المتمسك أولاً ببداية نضجه الاجتماعي، ذو نزعة روحية-دينية في المستوى الأول. ليتعاطم نضجه عندما يشرع في التفكير العقلي، فيتضاعف فيه العطاء ويسمو بخلاف ما كان عليه، فهو ضمن حالته الأكثر نضجاً يتميز بشبكة علاقات اجتماعية أكثر اتساعاً ورحابة، يثري أفكاره بالحضور العقلي البحت، وصلته الوثيقة بالأشياء التي تبرر امتزاج روحانيته بالنزعة المادية، لذلك يعد المستوى الثاني عقلي محض متشعب بالقيم البناءة التي ترتفع بالإنسان والمجتمع، إن الإنسان المؤنسن هو الشخص الاجتماعي الإيجابي المهذب بالروح والعقل، الذي يمتلك القابلية للتحضر.

المصادر

- بن نبي، مالك (1986). شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين. دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.
- بن نبي، مالك (1974). ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية، ج 1، ط 3، ترجمة عبد الصبور شاهين طرابلس، دار الفكر الجزائر، دار الفكر دمشق.
- بن نبي، مالك (2002). وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين. بيروت، دار الفكر المعاصر.
- بن نبي، مالك (2002). مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعيبو، دمشق، دار الفكر.
- بن نبي، مالك (2005). مشكلة الثقافة، بيروت، دار الفكر المعاصر.
- خالد، حامد (2008). المدخل إلى علم الاجتماع، ط 2. الجزائر، دار جسور للنشر والتوزيع.
- سعود، الطاهر (2006). التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، لبنان، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.
- عامر، عبد زيد (2016). الأنسنة العربية المعاصرة ورهانات الإنسان العربي، الجزائر، ابن النديم للنشر والتوزيع.
- عبد الحميد، توفيق. السبت (28، 03، 2020) كورونا وأنسنة الحضارة. ابو ظبي: لا توجد نسخة الرابط.
- غي، روشيه (1983). مدخل إلى علم الاجتماع العام، ترجمة: مصطفى دندشيلي، بيروت، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع.
- هاشم، صالح (2005). مدخل إلى التنوير الأوروبي، بيروت. دار الطليعة للطباعة والنشر.